" العلم" أهميته وأخلاقياته وأهدافه في الشريعة الاسلامية

هونر طاهر علي أحمد الشيخاني

المقدمة

إهتمت الشريعة الإسلامية بالعلم اهتماماً عظيماً، وهناك كم هائل من النصوص من الكتاب والسنة، تدل على أهمية العلم، وفضله، وأهمية تعلمه، وكونه حاجة إنسانية ضرورية، يقول الله عز وجل في أول ما نزل:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ ـ ٥ .

ففي هذه الآيات المحكمات أمرٌ للنبي(ﷺ) ولكل فرد من أمته أن يقرأ ويتعلم أي علم يكون له ولغيره نفع في دينه ودنياه.

وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلماء، ومآثرهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومنها قوله سبحانه وتعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ آل عمران: ١٨

ففي هذه الآيات إشارة واضحة بأنّ الذين يشهدون بالوحدانية المطلقة هو الله عز وجل ثم ملائكته ثم أولو العلم، وفيها دلالة واضحة بأنَّ العلماء يتميّزون بعلومهم ومعارفهم، وبإدراكهم عن غيرهم الذين لا يعلمون.

ومما يلفت النظر إليه في العالم المعاصر، هو أن كلا من العلوم والفنون والإعلام تشكل عنصراً مهماً في الحياة الإنسانية، فكل واحدة منها تمثل سلاحا ذو حدين، فالعلم إذا فقد عنصر الأخلاق أصبح سلاحا فتّاكا لتدمير المجتمعات وهلاك الإنسانية، كما يُرى بوضوح في الحروب غير شرعية واللاأخلاقية التي تشن على المجتمعات بين حين وآخر، وأما إذا تحلى العلم بالأخلاق أصبح عنصرا فعالا لخدمة الإنسانية، وعاملا مساعدا لسعادتها، كاستخدامه في صنع الآلات والتقنيات الالكترونية والطبية، والاكتشافات العلمية التي تستخدم في الطب وغيرها.

ففي هذه البحث أتناول العلم من حيث أهميته وماهية، ومن الناحية الوظيفية؛ أي ثمار العلم المقتطف لدى الأمم والحضارات، ومدى حاجة الإنسان إليه، وهل أنه شرطٌ أساسيٌ في بناء الحضارة أم لا، وللإحاطة بالموضوع سينقم البحث على مبحثين، ويتضمن الأول منهاعلى ثلاثة مطالب الاول منها:تعريف العلم في اللغة والاصطلاح والمطلب الثاني: حكم تعلُّم العلوم في

الإسلام.والمطلب الثالث: أهمية العلم في القرآن، ويتضمن المبحث الثاني على ثلاثة مطالب الاول منها: العلم والالتزام الخُلقي، المطلب الثاني: تجرد العلم من الأخلاق وآثاره، والمطلب الثالث: أهداف العلم في القرآن، وأختم البحث بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصلت لها.

المبحث الأول: العلم أهميته في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: ماهية العلم.

أولاً: تعريف العِلْمِ لغةً:

العِلْمُ: نقيض الجهل، عَلِمَ عِلْماً، وعَلُمَ هُوَ نَفْسُهُ، وعَلِمَ الرَّجُلَ: خَبَرَهُ، وأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَهُ: أي يَخْبُرَهُ، ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠ (١).

"ومن صفات الله تعالى: العليم والعالِم والعلاّم، قال تعالى﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس: ٨١ وقوله تَعَالَىٰ:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنعام: ٧٣ . وقوله تعالى﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ التوبة: ٧٨ . فهو الله العالِمُ بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون، ولمّا يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما، ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى"(٢).

"وعَلِمَ بالشيءِ: شَعَرَ، يقالُ: ما علمتُ بِخَبَرِ قُدُومِهِ، أي: ما شَعَرْتُ، وعَلِمَ الأمْرَ وتعلّمَهُ: أَتْقَنَهُ"(٣).

ثانياً: تعريف العلم اصطلاحاً:

للعلم تعاريف متعددة تختلف باختلاف وجهات النظر، وتباين الخبرة لدى العلماء، ولكننا نختار تعريفين فقط لأهميتهما، فالأول نفهم من خلاله ماهية العلم، وأما الثاني فنعرف من خلاله وظيفة العلم:

أولاً: "العلم هو إدراك الشيء بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه(٤).

---

(١) – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (عِلْم)، دار المعارف، ج٤، ص٣٠٨٣-٣٠٨٤.

(٢)– المصدر نفسه، مادة: (عِلْم)، ج٤، ص٣٠٨٢-٣٠٨٣.

(٣) – المصدر نفسه، مادة: (عِلْم)، ج٤، ص٣٠٨٣.

(٤) – الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت–لبنان، دار المعرفة، كتاب العين، مادة: (علم)، ص٣٤٣.

ثانياً: "العلم هو ظاهرة اجتماعية ثقافية، ومنهج موظف في خدمة بنية المجتمعات، يعمل على تماسكها واطراد تقدمها، ومواجهة تحدياتها ورسم معالم مستقبلها، ولهذا فهو مؤسسة اجتماعية وعنصر حضاري، أي ركيزة البناء الحضاري"(١).

وهذا التعريف للعلم يدلنا على أنّ العلم الذي يمثل روح العصر الآن، هو ليس مجرد اكتساب معلومات علمية أو حيازة ذهنية للمعلومات، وهو ليس مجموعة من المعارف المتفرقة، بل هو منهج في فهم ودراسة الواقع اعتماداً على العقل الناقد بهدف التدخل التجريبي للتغيير، بمعنى أنّ العلم هنا أبنية معرفية نسقية نسقاً معرفياً متحدا مع بنية المجتمع وأنشطتها في الميادين المختلفة، وروح العصر الآن هي المعرفة العلمية النسقية التي هي نمط خاص من علاقة الوجود الإنساني بالطبيعة وبالنفس وبالمجتمع، فهو تعريف وظيفي للعلم، وهذا التعريف هو الذي يجعل من العلم ركيزة حضارية، وعنصر أساسي لبناء الحضارة، بمعنى أنّه ليس مجموعة من المعارف التي لا تستطيع أن تتجاوز الذهن، وبعيدةً جداً عن الواقع(٢).

ومن خلال هذا التعريف يمكن الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للعلم، حتى تؤتى العلم أكله وثماره، وبذلك تكمن أهمية العلم من الناحية الخدمية والوظيفية للمجتمع الإنساني، فهو العلم الذي يجلب للإنسان المنافع الحقيقية التي هي من الحاجات الأساسية للإنسان، وهي تنمية القدرات العقلية، والتفكير الذهني، ومعرفة ربط الأسباب بالمسببات، ومحاولة قراءة متأنية للكون، وما فيها من الأسباب والمسببات للوصول الى النتائج المرجوة.

لذا يمكن القول بأن العلم هو مجموعة من الحقائق، يأتي بها بحث موضوعي مجرد، فهو مجموعة الخبرات الإنسانية التي تجعل الإنسان قادرا على التقدير، وفهم ظاهرات الكون، أسبابها وآثارها، ويمكن القول بأنه مجموعة من المعارف الإنسانية، التي من شأنها أن تساعد على زيادة رفاهية الإنسان، أو أن تساعد على صراعه في معركة تنازع البقاء، وبقاء الأصلح(٣).

ولا يكون العلم إلا بعد جهد تدرك به هذه المعرفة. ويطلق العلم على معان كثيرة كالعلم بالعقائد، وعلم اللغات، والتراجم، والأنساب، وعلوم الطبيعة كالرياضيات والكيمياء والفيزياء أو العلوم الحديثة كالحاسب الآلي والإنترنت، وأي علم آخر يجتهد الإنسان لمعرفته(٤).

ثالثا: المفهوم الإسلامي للعلم:

---

(١) – جيمس تريفيل، لماذا العلم، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة كتب عالم المعرفة(٣٧٢)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (فبراير ٢٠١٠م)، ص٩.

(٢) – ينظر: المصدر نفسه، ص٩ وما بعدها.

(3) http://www.al-maqha.com/t5683.html

(4) http://www.islamichistory.net/articles/fa2.htm

إنّ العلم بالمفهوم العام كما سبق يركز على جانب واحد فقط هو الجانب المادي الحسي العقلي فقط، الذي يشتمل الماديات المنظورة في الكون، والتي تتضمن العلوم الطبيعية مثل الكيمياء والأحياء والفلك والطب والهندسة وغيرها، مما يقوم على الملاحظة والتجربة، بينما نظرة الإسلام للعلم تتسع لتشمل علم الشهادة، وعلم الغيب الذي يعتمد على الإيمان به دون الملاحظة(١).

وهناك المئات من الآيات القرآنية تشير إلى ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ البقرة: ١ - ٣ .

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٤٤ ﴾ آل عمران: ٤٤ .

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٧٩ ﴾ آل عمران: ١٧٩ .

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾ الأنعام: ٥٠ .

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ الأنعام: ٥٩ .

وقال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ الروم: ٧ .

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥ ﴾ التوبة: ١٠٥، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ الرعد: ٩ . وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ ﴾ الجمعة: ٨ .

ويتبين من عرض تلك الآيات: "أنّ طبيعة العلم في الإسلام أنه يجمع بين الغيب والشهادة، بين العالم الذي لا يعلمه إلا الله، وبين العالم المحسوس، علم يجمع بين ما جاء في وحي الله قرآناً وسنة، عمّا غاب من البشر في الماضي والحاضر والمستقبل وبين الكون الملموس، إنه علم يجمع بين كتاب الله المقروء وبين كتاب الكون المفتوح، علم يشمل النور الذي يقذفه الله في قلوب

(١) – انظر: إسلام الرفاعي عبد الحليم، طبيعة العلم؛ رؤية إسلامية تطبيقية في تعليم العلوم، القاهرة–مصر، عالم الكتب، ص٢٦، وما بعدها.

عباده الصالحين الذين صفت قلوبهم، وسمت أرواحهم وارتقت نفوسهم بعيداً عن جاذبية المادة والطين، إلى مستوى الشفافية والروحانية، فأنعم الله عليهم بالعلم"([1]).

وبذلك يمكن القول بأن العلم بالمفهوم العام(غير الإسلامي)،هو جزء مكمل لمعنى العلم في المفهوم الإسلامي، لان هناك آيات عديدة تشهد بفضيلة العلم ليس كونه علما شرعيا فحسب، بل لجميع أنواع العلوم الدنيوية والأخروية، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر:٢٧ ــ ٢٨ .

وقال تعالى:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤ .

وهذه الفضيلة لا تختص بطلب العلم الشرعي لمكانة هذا العلم وكونه أول العلوم التي يجب أن يعرفها المسلم لمعرفة أمر دينه فحسب، بل إنَّ هذه الفضيلة تمتدُّ إلى كل علم يكون للمسلم ولغيره فيه نفع في معيشته وحياته اليومية ما لم يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، إنَّ العلوم الدنيوية ضرورة لتنمية معاش المسلمين، يقول الله تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١ .

وعمارة الأرض لا تكون إلاَّ عن علمٍ راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة، وعلم راسخ في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل العصرية الحديثة.

إنّ حاجة الشعوب المسلمة إلى العلم الشرعي تمتد بالضرورة إلى حاجتها لعلوم ومعارف أخرى كعلم الحاسوب، والطب، وعلم صناعة الأسلحة وغيرها، بل يجب أن تكون هذه العلوم محل عناية المسلم واهتمامه في عصرنا الحاضر لأنها لم تعد مجرد حاجة بل أصبحت ضرورة قصوى في وقت تخلَّف فيها المسلمون عن غيرهم من الأمم، يقول الله عز وجل:﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠ .

إنَّ سلف هذه الأمة قد اهتموا بالعلوم الشرعية وما يتفرع عنها، وفي الوقت نفسه اعتنوا بعلوم ومعارف أخرى كعلم الطب والجراحة وعلم الرياضيات وعلوم الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من العلوم التي كان لها دور كبير في بلوغ الحضارة الإسلامية مرحلة ازدهارها(١)، حيث

(١) – المصدر السابق، ص٣٥.

بدأت الانطلاقة الحضارية للأمة الإسلامية من قول الله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ - ٥ .

فتلك هي بداية الإسلام وشهادة تاريخ ميلاده، في أول سورة نزل بها جبريل(عليه السلام) على النبي محمد(ﷺ) وهو يتحنث في غار حراء في شهر رمضان، وفيها دعوة إلى قراءة ما يوحي إليه، باسم ربه الذي له الخلق والفضل في تعليمه ما لم يكن يعلمه من القراءة، ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى لحجته، ولا يخفى على أحد ما لهذه الدعوة من أثر عظيم في نشأة الحضارة وتقدمها، فالقراءة هي سبيل الإنسان إلى المعرفة، ولولاها لما تمكّن من امتلاك أسرار العلم والمعرفة وإزاحة تلك الحجب التي حالت طويلا دون اكتشاف نواميس الكون وسنن الوجود(١).

المعرفة، ولولاها لما تمكّن من امتلاك أسرار العلم والمعرفة وإزاحة تلك الحجب التي حالت طويلا دون اكتشاف نواميس الكون وسنن الوجود(٢).

المطلب الثاني: حكم تعلُّم العلوم في الإسلام.

نظرا لأهمية العلم والمكانة العظيمة التي تشغله في الإسلام، جعل الإسلام تعلمه من الواجبات التي تقع على عاتق الإنسان المسلم، حيث هناك العديد من الآيات والأحاديث التي جاءت بصيغة تدل على الأمر، ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ۝١٢٢ ﴾ التوبة: ١٢٢.

ففي قوله تعالى:(فَلَوۡلَا نَفَرَ) لولا هنا تحضيضية، وهي مع الماضي تفيد التوبيخ على ترك الفعل، ومع المضارع تفيد طلبه والأمر به، لكن اللوم على الترك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الأمر به في المستقبل، أي فهلا نفر(مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ أي جماعة كثيرة(مِّنۡهُمۡ كأهل بلدة أو قبيلة عظيمة، چ ئۆ چ أي جماعة قليلة، ليتفقهوا في الدين أي ليتكلفوا الفقاهة فيه، فصيغة التفعل للتكلف، لينذروا قومهم أي عما ينذرون منه، وضمير يتفقهوا وينذروا عائد إلى الفرقة الباقية، أي فلولا نفر من كل فرقة طائفة، وأقام طائفة ليتفقهوا"(٣).

---

(1) http://www.islamichistory.net/articles/fa2.htm

(٢) – انظر: قاسم حبيب جابر، الإسلام بين البداوة والحضارة، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، ص٣٩٤ وما بعدها.

(٣) – الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت–لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج١١، ص٤٨.

فدلالة هذه الآية واضحة كما ذهب إليه المفسرون، فهي تشير على أنه لا يمكن للأمة النهوض ومواجهة الأعداء إذا لم تكن هناك طائفة متخصصة في كل جانب من جوانب الحياة، فكما هناك طائفة متمرسة لقتال الأعداء ومهيأة للجهاد في سبيل الله، يجب أن تكون هناك طائفة أخرى مسلحة بالعلم، وهنا تبرز أهمية العلم في حياة الأمة، وكيف أنها عنصر من عناصر نهضتها، وعامل أساسي لبناء الحضارة.

وعن أنس بن مالك(رضي الله عنه)؛ قال: قال رسول الله(ﷺ): "طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلَّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب"(١).

ولبيان معنى الفرضية في هذا الحديث اختلف العلماء في نوعية العلم الذي جاء في هذا الحديث، فقال بعضهم هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات،.. وقال آخرون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها، وأما المتصوفة فقد اختلفوا في المراد به، فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل، وقال بعضهم هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان(٢).

وَيُقَسِّم الإمام الغزالي(رحمه الله)(٣) العلوم المفروضة إلى قسمين حيث يقول "وان الفرض ينقسم إلى شرعية وغير شرعية، والشرعية ما استفيد من الأنبياء ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة، والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى: ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح، فالمحمود: ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى: ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض

---

(١) – ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني،(٢٠٧-٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: (٢٢٤)،دار الفكر، ج١، ص٨١.

(٢) – ينظر: إحياء علوم الدين، اندنوسيا، مكتبة كرياطة فوطرا، ج١،ص١٤-١٥..

(٣) – هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي الغزالي، لُقّب بحجة الإسلام وأعجوبة الزمان، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولاً، ثم تحوّل إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وشرع في التصنيف، ثم حجّ وزار بيت المقدس، وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق، وأقام مدة وألف كتاب "الإحياء" وكتاب "الأربعين" وغير ذلك، ولبس زيّ الأتقياء، ثم بعد سنوات صار إلى وطنه لازما لسننه، حافظا لوقته، مكباً على العلم، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، وكان شديد الذكاء، قوي الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص في المعاني، توفي يوم الاثنين رابع عشر جُمادي الآخرة سنة (٥٠٥هـ)، وله خمس وخمسون سنة، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٩١-٤٩٢.

الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما"(١).

وأصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة، وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات، وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه(٢).

وما عده الإمام الغزالي من الفضائل فلعل هذا كان بالنسبة إلى زمنه, لأن العالم في زمانه لم يشهد هذا التطور في العلوم المختلفة ففي زماننا هذا يعتبر التعمق في هذه العلوم كالفيزياء والكيمياء والأحياء وعلم الأرض والرياضيات والفلك والطب وغيرها، بحيث يصل إلى دقائقها، ويرتقي إلى حقائقها فريضة لازمة أي من الفروض الكفائية التي لابد منها، لان الأمم تتسابق في هذا تسابقا خطيرا، ولولا التعمق في هذه العلوم ما وصل عصرنا إلى تحطيم الذرة, وغزو الفضاء, وصناعة "الحاسوب, والثورة" التقنية"، وغيرها من العلوم الدقيقة(٣).

فهذه العلوم وغيرها من العلوم التي تتطور من خلالها الصناعات وتسهل مستلزمات الحياة، كاستخراج المعادن، وشئون الزراعة والفلاحة وسائر أنواع الصناعات النافعة، فقد يجب منها ما يحتاجه المسلمون، ويكون فرض كفاية، ولولي الأمر فيها أن يأمر بما يحتاجه المسلمون، ويساعد أهلها في ذلك، أي بما يعينهم على نفع المسلمين، والإعداد لعدوهم، وعلى حسب نية العبد تكون أعماله عبادة لله عز وجل، متى صلحت النية وخلصت لله، وإذا فعلها بدون نية كانت من المباحات، أعني أنواع الصناعات المباحة، واستخراج المعادن والزراعة والفلاحة وغير ذلك(٤).

وكلها أمور مطلوبة ومع صلاح النية تكون عبادة، ومع خلوها من ذلك تكون أموراً مباحة، وقد تكون فرض كفاية في بعض الأحيان، إذا دعت الحاجة إليها، ووجب على ولي الأمر أن يلزم بذلك من هو أهل لها، فهي أمور لها شأنها، ولها أحوالها الداعية إليها، وتختلف بحسب النية، وبحسب الحاجة(٥).

---

(١) – تهذيب سير أعلام النبلاء، طبعة اندنوسيا، ج١، ص١٧.

(٢) – المصدر نفسه، ص١٧.

(٣) – ينظر: الحياة الربانية والعلم، مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٥)، ص١١٨.

(4) http://www.binbaz.org.sa/mat/8523

(٥) – ينظر المصدر نفسه.

لقد تميز العصر الذهبي للإسلام بكثير من الخلفاء والأمراء الذين شجعوا الحركة العلمية، وهيأوا الجو الصالح لازدهار العلم وإبداع العلماء، فأنشأوا المدارس والمكتبات ودور العلم، وجدّوا في البحث عن الكتب والمخطوطات والحصول عليها من مظانها المختلفة، وفي هذا الجو العلمي الرائع ظهر المئات من العلماء الذين سطعت أسماؤهم في سماء الحضارة الإسلامية(١).

فقد برز الكثير من العلماء الذين جمعوا بين الدين والعلم وبين الدنيا والآخرة، حيث جعلوا العلم وسيلة لترسيخ الإيمان في قلوب الناس، ليكونوا أصحابا للمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة، بحيث يكون من الصعب للأعداء أن يتلاعبوا بعقولهم ويغزوا أفكارهم.

لأن العلم وحده لا يَرْقى بالناس ولا يجعلهم أفضل مما هم عليه أو أكثر حرية أو أكثر إنسانية، فالعلم يجعل الناس أكثر قدرة، وأكثر كفاءة، وأكثر نفعا للمجتمع من الناحية الخدمية، أما ما يجعل هذه الخدمة محمودة وتحس الناس بالسعادة الحقيقية في ظله هو العلم الذي يتقيد بالإيمان بالله تعالى ويلتزم بحدوده، لأن التاريخ برهن على أن الرجال المتعلمين والشعوب المتعلمة يمكن التلاعب بهم بل يمكن أن يكونوا أيضاً خُدّاماً للشر، وربما كانوا أكثر كفاءة من الشعوب المتخلفة، لأنهم اكتفوا بالعلم المنسلخ من الإيمان(٢).

والعلم في نظر القرآن ليس مناقضا للإيمان، ولا عدوا له، بل هو يسير مع الإيمان جنبا إلى جنب، ولهذا عطف القرآن الإيمان على العلم، قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾ الروم: ٥٦، وقوله تعالى:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١، فعطف هنا أهل العلم على أهل الإيمان، وفي قوله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾ العلق: ١، أمر الله تعالى أن تكون القراءة باسم الله الخالق، فهي قراءة مؤمنة وبتعبير آخر: علم في حضانة الإيمان(٣).

والعلم الحقيقي في نظر القرآن يدفع إلى الإيمان ويشد أزره قال تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ ﴾ سبأ: ٦، فليس بين

(١) – ينظر: أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، مصر، دار المعارف، ط١(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص٣٤-٣٥.

(٢) – ينظر: علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا و دار النشر للجامعات، مصر، سلسلة نافذة على الغرب العدد(٢)، ص١٠١.

(٣) – ينظر: يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، سلسلة؛ من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(٢)، القاهرة-مصر، مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ص٩٥-٩٦.

العلم والإيمان صراع كالذي عرفته أوروبا فيما سمي عندهم القرون الوسطى، وإنما هو إخاء بينهما فالعلم يؤيد الإيمان، والإيمان يبارك العلم فإن الحق لا يناقض الحق(١).

ولأهمية العلم الذي أشار إليه القرآن أنه اعتبر العلم مؤهلا لابد منه لكل منصب قيادي في المجتمع، فلا يجوز أن يقود الأمة جهالها إنما يقودها علماؤها، لان الجهال لا يسوقونها إلا إلى ضلال(٢).

والقرآن يشير إلى أنّ العلم من المؤهلات الضرورية لدى الذين يقودون ويتصدرون لقيادة الجيوش، ففي قصة طالوت كان العلم أحد مؤهلاته الأساسية للقدرة العسكرية.

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧، فالإسلام دين العلم والحضارة، ويشهد على ذلك أتباعه الذين بنوا على أساس العلم ومنهج الحضارة دولتهم، والتي عمّرت القرون وغزت الآفاق فنشرت العلم والحضارة، فنهل العالم من نورها واستضاء بشمسها، ولازالت البشرية تذكر إلى الآن فضل حضارة الأندلس المسلمة على الثورة العلمية والحضارية في أوروبا.

المطلب الثالث: أهمية العلم في القرآن.

تكمن أهمية العلم في القرآن الكريم من خلال الآيات التي تشير إلى فضله وفضل تعلمه، ومكانة معلمه عند الله تعالى، وكذلك فرضية تعلمه، وكذلك صد القرآن للجهل، ومحاولته لمحو الأمية المتفشية بين بني الإنسان، وبيان الوظيفة الحضارية للعلم.

أولاً: فضل العلم في القرآن ومكانته:

هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تشير إلى فضل العلم والتعلم، نذكر منها:

قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١.

---

(١) – يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، ص٩٦.

(٢) – المصدر نفسه، ص١٢٢.

وقوله سبحانه:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ بمعنى: "يرفع الله المؤمنين العلماء درجاتٍ، فلذلك أمر بالإفسح لهم، وقال آخرون: يرفع الله المؤمنين والعلماءَ الصنفين جميعاً درجات"(١).

وقوله سبحانه:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣.

أي وهذا المثل ونظائره من الأمثال التي اشتمل عليها الكتاب العزيز، فضربه للناس تقريباً لما بَعُدَ من أفهامهم، وإيضاحاً لما أشكل عليهم أمره واستعصى عليهم حكمه، وما يفهم مغزاها ومعرفة تأثيرها، واستتباعها لكثير من الفوائد إلا الراسخون في العلم، المتدبرون في عواقب الأمور(٢).

وقوله سبحانه:﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩.

وقوله سبحانه:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨.

وقوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ البقرة: ١٢٢.

وإلى جانب هذه الآيات التي سبقت، هناك عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة تشير إلى فضل العلم ومكانته:

فعن أبي الدرداء(رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ(ﷺ) يقول: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيه عِلْماً سَلَكَ الله له طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لتَضَعُ أَجْنَحِتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَواتِ وَمَنْ في الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ"(٣).

---

(١) – الثعالبي: تفسير الثعالبي، ج٥، ص٤٠٢.

(٢) – أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج٢٠، ص١٤٤.

(٣) – مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: (٢٦٩٩)، ص١٠٨٢. وأحمد، المسند، عن أبي هريرة، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: (٨٢٩٩)، ج٨، ص٢٧٥ و(٢١٦١٢)، ج١٦، ص٧١. والترمذي، سنن الترمذي، كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: (٢٦٨٢)، ص٦٠٤. ومن حديث أبي هريرة، كتاب:

وعن انس بن مالك(رضي الله عنه وسلم)؛ قال: قال رسول الله(ﷺ): "طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلَّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ(ﷺ) قَالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"(٢).

وعندما أُسر المشركون في بدر، جعل الرسول عليه الصلاة والسلام لمن لم يكن لهم فداء من الأسرى، جُعِل فداؤهم أن يعلّموا أولاد الأنصار كتابة(٣). أي: أن الإسلام هو الذي أصّل إيجاب التعليم على الدولة للأطفال في سنيهم الأولى بلا مقابل(٤).

وانطلقت هذه المعارف العلمية في لحظتها الأولى من المسجد، وهو أهم المنارات التي أضاءت للمسلمين طريق العلم والمعرفة، فكان أول شيء قام به الرسول(ﷺ) بعد هجرته إلى المدينة بناء المسجد، مما يدل على أهميته في حياة المسلمين، وليعلموا أن المسجد هو أول خطوة في بناء الحضارة وتحقيق الازدهار والتقدم، فكان المسجد مكانًا لاجتماع المسلمين مع

العلم عن رسول الله، باب: فضل طلب العلم، رقم الحديث: (٢٦٤٦)، ص٥٩٦؛ وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: في فضل العلم، رقم الحديث: (٣٦٤١)، ص٦٥٥. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: (٢٢٣)، ص٥٦.

(١) – ابن ماجه، ح(٢٢٤)، ج١، ص٨١.

(٢) – مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: (١٦٣١)، ص٦٦٩–٦٧٠. وأحمد، المسند، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: (٨٨٣٠)، ج٩، ص٢١. والترمذي، سنن الترمذي، كتاب: الأحكام عن رسول الله (ﷺ) باب: في الوقف، رقم الحديث: (١٣٧٦)، ص٣٢٥. والدارمي، سنن الدارمي، كتاب: النبي(ﷺ)، باب: البلاغ عن رسول الله(ﷺ) وتعليم السنن، رقم الحديث: (٥٧٨)، ج١، ص٤٦٢. و أبو داود، سنن أبي داود، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم الحديث: (٢٨٨٠)، ص٥١٢. وابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب: الجنائز، فصل: الموت وما يتعلق به، رقم الحديث: (٣٠١٦)، ج٧، ص٢٨٦. وابن خزيمة: الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري(٢٢٣–٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي، دمشق–سوريا، بيروت–لبنان، المكتب الإسلامي(١٤٠٠هـ–١٩٨٠م)، كتاب الزكاة، باب: ذكر الدليل على أن أجر الصدقة المحبسة يكتب للمحبس بعد موته ما دامت الصدقة جارية، رقم الحديث: (٢٤٩٤)، ج٤، ص١٢٢. والنسائي، سنن النسائي، كتاب: الوصايا، باب: فضل الصدقة عن الميت، رقم الحديث: (٣٦٥١)، ص٥٦٨–٥٦٩.

(٣) – ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة–السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ج١، ص٣٦٨.

(٤) – ينظر: محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في شريعة الإسلام، ص٨٨.

الرسول(ﷺ)، يسألونه ويجيبهم، ويتناقشون في أمور دينهم ودنياهم، وتقام فيه حلقات الذكر، ويجلس المسلمون صغارًا وكبارًا ليتعلموا القرآن وأمور الإسلام([1]).

لان مكانة المسجد في الإسلام تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم وندوة للأدب، وفي المسجد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام، وهو وصل العباد بربهم وصلاً يتجدد مع الزمن، فلا قيمة لحضارة لا تستطيع أن تربط بين العبد وربه، وبين الدنيا والآخرة([2]).

المبحث الثاني: العلم أخلاقياته وأهدافه في الشريعة الاسلامية

المطلب الأول: العلم والالتزام الخُلقي

العلم هو المرتكز الأساسي لنهضة الأمة، والوسيلة التي يستعان بها على عمارة الأرض، وتسخير ما فيها، وترقية الحياة، والانتفاع بالطيبات من الرزق، وإن التمكن والإلمام التام المتكامل بالعلوم وعناصره يفتح للإنسانية آفاقاً رحبة للريادة والتفوق في مختلف فروع المعارف الحديثة.

إنَّ الأبحاث العلمية بالغة الأهمية التي يقوم بها العلماء في ميادين اختصاصهم المختلفة، والتي يكتشفون بها أسرار الكون وأسرار الحياة، ويحاولون بها مقاومة الأمراض التي فتكت في الماضي وتفتك اليوم بحياة البشر، هي التي تستحق أن تعطى كل دعم، إيذاناً بعصر جديد، وبمستقبل جديد للعالم.

وإنّ الحروب بكلِّ أشكالها، والنضال ضد صنَّاعها من كل الأجناس، هي الصيغة الراهنة الحقيقية التي يعيد فيها العالم الاعتبار إلى الأخلاق وإلى القيم جميعها في استخدام المنجزات العلمية، وطنياً وعالمياً، استخدامها في تحقيق الحرية والسعادة والتقدم للبشر.

ويشجع الإسلام على طلب العلم والمعرفة، واستكشاف الطبيعة، وابتكار التقنيات، والتعمق في دراسة الكون، ويحث على بذل الجهود الحثيثة في مجال البحث العلمي والتعليم، ويجعلهما هدفاً علمياً، ومن ثم تسير عملية بناء النهضة الفكرية، والروحية، والجسدية للأمة على أسس واضحة ودعائم قوية، تجعل من الوحي الإلهي سنداً لها.

قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

(1) http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id

(٢) – ينظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الشروق، ص١٣٦-١٣٧.

فكان أول آية نزلت في القرآن بدأت بـ"اقرأ"، وجاءت كلمة اقرأ مرتين تأكيدا لأهميته، ولكنها ليست مجرد قراءة، فهي قراءة باسم الخالق العظيم، قراءة باسمه تعالى، أي بإذنه وأمره ومباركته، وبذلك تكون قراءة إيمانية، فهي إشارة إلى أن العلم في الإسلام لا بد أن يكون في حضانة الإيمان بالله تعالى، وبهذا يكون العلم أداة خير، لا معول هدم، ويكون للتعمير لا للتدمير(١).

وفي هذا المطلب تتبين الآثار الخطيرة التي تظهر نتيجة لتجرد العلم من الأخلاق، وكيف أنه يكون عاملا يهدد المجتمعات الإنسانية، من خلال بعض الأمثلة لاستخدامات الطاقة النووية في الحروب والإبادات الجماعية.

وكذلك ضرورة تحلي العلم بالأخلاق، لكي يكون عاملا لبناء المجتمعات والحضارة الإنسانية، ويتبين ذلك من خلال أهداف العلم في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تجرد العلم من الأخلاق وآثاره:

إن التقدم العلمي والتطور الصناعي والتقني لا يتحتم أن تكون نتيجته خيراً دائماً ولا شراً دائما، بل يتوقف ذلك على الاتجاهات العقلية المصاحبة لاستخدام العلوم وتطبيقاتها التقنية، وعلى القيم الخُلقية المرتبطة بها، والتي تساعد على توجيه استخدامها عن قصد لتحقيق الخير للأفراد والصالح العام للمجتمع(٢).

فالطاقة الذرية مثلاً في يد الحكومات يمكن أن تكون وسيلة للهدم والدمار، كما يمكن أن تكون وسيلة للبناء ورفاهية للإنسان، وذلك يتوقف على القيم والمبادئ المصاحبة للعلم والمعرفة، فهي تشكل مصدراً هاما للطاقة السلمية في كثير من البلدان لأنها تستخدم لخدمة المجتمع، أما الوجه الآخر لاستخدام هذه الطاقة فهو الاستخدام الحربي واللاأخلاقي الذي يستخدم لإبادة وهلاك الشعوب والأمم.

كما حدثت في قنبلتي"هيروشيما وناغازاكي"(٣) اللتان سقطتا على اليابان، وخلفتا من

---

(١)- ينظر: **يوسف القرضاوي، الحياة الربانية والعلم**، الحياة الربانية والعلم، يوسف القرضاوي، سلسلة تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة، عمان، دار الفرقان، ط١(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م). وطبعة مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ-١٩٩٥). ص٨٣.

(٢) - ينظر: اسلام الرفاعي، طبيعة العلم؛ رؤية إسلامية تطبيقية في تعليم العلوم، مصر، عالم الكتب، ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) - هيروشيما: هي مدينة في اليابان، تقع في جزيرة "هونشو"، وتشرف على "خليج هيروشيما". عاصمة "محافظة هيروشيما" وأكبر مدنها. اشتهرت عالميا لأنها كانت أول مدينة في العالم تلقى عليها قنبلة ذرية، يبلغ عدد سكانها حوالي ١,١٣٦,٦٨٤ نسمة (٢٠٠٣م)، و ناغازاكي: هي مدينة تقع على الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة كيوشو اليابانية، عاصمة محافظة ناغازاكي وأكبر مدنها، في تقديرات عام ٢٠٠٣

أشكال الإبادة والهلاك والدمار([1]).

والتي استخدمت في حرب احتلال العراق ٢٠٠٣م، وفي الحرب التي شنتها إسرائيل على لبنان سنة ٢٠٠٦م، وعلى مدينة غزة في فلسطين عام ٢٠٠٩م، حيث تم استخدام الفسفور الأبيض والمواد النووية، مخلفا القتل والدمار والهلاك والآثار الخطيرة التي تظهر سنة بعد أخرى، وآخرها التشوهات الخَلقية التي تزداد بكثرة في المدن التي قصفت بهذه القنابل([2]).

استخدمها النظام السابق في العراق ضد المدنيين الأكراد في كردستان العراق، حيث استخدم المواد الكيمياوية السامة ضد المدنيين العزل وأدى إلى إبادة جماعية[3]

كان عدد سكان المدينة ٤١٨,٩٠١ نسمة بكثافة قدرها ١,٧٣٦.٧٤ شخص/ كم². مساحتها ٢٤١.٢٠ كم². ينظر: http://ar.wikipedia.org/wiki

(١) – قامت الولايات المتحدة بشن ضربتين نوويتين ضد اليابان في مدينتي هيروشيما وناغازاكي، خلال المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية، وتحديدا في ٦ و ٩ أغسطس عام ١٩٤٥م، وكانت هذه الهجمات هي الوحيدة التي تمت باستخدام الأسلحة النووية في تاريخ الحرب، حيث قتلت القنابل ما يصل إلى ١٤٠،٠٠٠ شخص في هيروشيما، و٨٠،٠٠٠ في ناغازاكي بحلول نهاية عام ١٩٤٥، حيث مات ما يقرب من نصف هذا الرقم في نفس اليوم الذي تمت فيه التفجيرات، ومن بين هؤلاء، مات ١٥–٢٠ ٪ متأثرين بالجروح أو بسبب آثار الحروق، والصدمات، والحروق الإشعاعية، يضاعفها الأمراض، وسوء التغذية والتسمم الإشعاعي، ومنذ ذلك الحين، توفي عدد كبير بسبب سرطان الدم: (٢٣١ حالة) والسرطانات الصلبة (٣٣٤ حالة)، تأتي نتيجة التعرض للإشعاعات المنبثقة من القنابل، وكانت معظم الوفيات من المدنيين في المدينتين، وبعد ستة أيام من تفجير القنبلة على ناغازاكي، في الخامس عشر من أغسطس، أعلنت اليابان استسلامها لقوات الحلفاء إذ وقعت وثيقة الاستسلام في الثاني من شهر سبتمبر، ومن الملاحظ لذلك أن القنبلة الذرية على هيروشيما كانت من اليورانيوم، والقنبلة الذرية على ناغازاكي كانت من نظائر اليورانيوم، ينظر: المصدر السابق، ص٢٢١.

و http://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) – أعلنت منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أن إسرائيل تستخدم الفسفور الأبيض المحظور دوليا في حربها على قطاع غزة، حيث تحرم المعاهدات الدولية استخدام الفسفور الأبيض ضد المدنيين العزل، ويشار إلى أن اسرائيل اعترفت أيضا باستخدامها لهذا النوع من الأسلحة في حربها ضد لبنان العام ٢٠٠٦.، وكذلك أقر الجيش الأميركي باستخدامه في حربه ضد مدينة الفلوجة غربي العراق، ويذكر أن الفسفور الأبيض يتميز بقدرته الكبيرة على حرق الأجساد التي يقع عليها حتى العظام، ينظر: جريدة الوقت، العدد(١٠٥٧)، الاثنين، ١٥ محرم ١٤١٣هـ– ١٢ يناير ٢٠٠٩م.

(٣)– في يوم السابع عشر من آذار (مارس) في عام ١٩٨٨م، تم إلقاء القنابل الكيماوية على مدينة حلبجة الواقعة على مسافة ٢٦٠ كيلومترا شمال شرقي بغداد، وبعد فترة وجيزة، ملئت المدينة بجثث على الأرض، وقد هزت الصور الملتقطة للمدينة المنكوبة العالم، لما حل بسكان حلبجة المدنيين من الإبادة الجماعية، وبلغ عدد القتلى في ذلك اليوم ٥٠٠٠ قتيل، ينظر:

فضلاً عن الطاقة النووية ففي عصرنا الحديث وفي الحضارة المعاصرة هناك مجالات كثيرة يلتقي فيها العلم مع المجتمع على النفع والضر، فقد تثير هذه المجالات بين الحين والآخر مشكلات قيمية وأخلاقية، كالهندسة الوراثية وزرع الأعضاء وأطفال الأنابيب وتقنية المعلومات والاتصالات واستنساخ الأجنة الحيوانية والبشرية وغير ذلك، فمثل هذه المجالات لا ينبغي أن تأخذ دورها النظري والتطبيقي في معزل عن القيم الأخلاقية، فمنذ العقد الماضي حذرت جهات عديدة من مخاطر التمادي في هذه المجالات دون وضع الكرامة الإنسانية في وجه الاعتبار، وبات العلماء وأهل السياسة على وعي متزايد بأهمية الأخلاقيات في البحث العلمي([1]).

ومن الأهمية بالنسبة إلى العلم والمجتمع على السواء أن يتبع العلماء معايير ملائمة للسلوك، وان يتعلم العلماء كيف يدركون الحيثيات الأخلاقية في العلم، وأن يفكروا فيها، وأن ينظر العلماء إلى العلم على أنه جزء من سياق اجتماعي وأخلاقي واسع، ويثمر نتائج مهمة للجنس البشري، والواقع أن كلا من العلم والمجتمع يعاني عندما يتبنى الباحثون اتجاها يتجاهل فيه المعايير الأخلاقية عند البحث عن المعرفة([2]).

المطلب الثالث: أهداف العلم في القرآن

إن النظام الأخلاقي في الإسلام له خصائص يختص بها، ومميزات يتميز بها، وهذه الخصائص تجعله نظاماً فريداً من نوعه، ومن هذه الخصائص شمول الأخلاق الإسلامية لكل ميادين الحياة، وهيمنتها على كل الأفعال([3]).

وميدان العلم من الميادين التي تهيمن عليها الأخلاق الإسلامية، فالإسلام يشجّع كل تقدم علمي نافع للمجتمع ويراعي قيمه، ويثني عليه ويمدحه.

فللعلم وتعلم العلوم في القرآن الكريم أهداف عظيمة وجليلة، أهداف عقدية وعبادية وسلوكية واجتماعية واقتصادية وعسكرية، كلها تصب في مصلحة الإنسانية وخدمتها، وجلب السعادة إليها، ولعل من أهمها هي:

---

http://www.iraqcenter.net/vb/20214.html

(١) – ينظر:، طبيعة العلم؛ رؤية إسلامية تطبيقية في تعليم العلوم، ص٢٢٣، وديفيد ب. زرنيك، ترجمة: عبد النور عبد المنعم، أخلاقيات العلم، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة(٣١٦)، (ربيع الاخر١٤٢٥هـ – يونيو٢٠٠٥م)، ص١٣ وما بعدها.

(٢) – ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤٩–٢٥٠.

(٣) – ينظر: منير حميد البياتي، النظم الاسلامية، عمان–الأردن، دار وائل، ط١(٢٠٠٦م)، ص٨٧ وما بعدها.

أ. العلم لمعرفة الله سبحانه وتعالى(١):

فمعرفة الله تعالى من أعظم الحقائق التي يحض القرآن على معرفتها والعلم بها، بل إن الله تعالى خلق هذا العالَم علويه وسفليه لكي يعرفونه ويعبدونه، والعلم بالله تعالى من أهم العلوم التي يجب على المسلم أن يعرفه، ويتم بالبحث في أسماء الله تعالى وصفاته وتدبر آياته والتفكر في عظيم مخلوقاته، وتتبع الأدلة النقلية والعقلية، كما جاء في القرآن الكريم، ومن اجل ذلك نشأ علم التوحيد وأصول الإيمان في الحضارة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

قال تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣ ﴾ القصص: ٧١ – ٧٣ وقال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾آل عمران: ١٩٠].

ب. العلم للتفقه في الدين:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) – ينظر: المصدر السابق، ص٢٣١ وما بعدها، و العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، سلسلة؛ من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(٢)، القاهرة–مصر، مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٦م). ص١٦٧.

وعن أبي الدرداء(رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ(ﷺ) يقول: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَلَكَ الله له طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لتَضَعُ أَجْنَحِتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَواتِ وَمَنْ في الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ"(١).

والسبب في علو منزلة التفقه في الدين وتحصيل العلم الشرعي؛ أنه السبيل لمعرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته، وما فرض الله تعالى على عباده، وما أحل وما حرّم، فبالعلم يعرف المرء ربه، ويعبده ويطيعه، ويستقيم على أمره، فلأجل هذا رفع الله تعالى أهل العلم درجات وفضّلهم على غيرهم، ووعد من سلك منهم طريقاً يطلب فيه العلم أن يسهل له الطريق إلى الجنة، رضا منه سبحانه بما يصنع طالب العلم من حفظ القران ومعرفة معانيه ودراسة أحكامه وحفظ حديث رسول الله(ﷺ) لما في ذلك من حفظ للدين، ومعرفة الأحكام الشرعية، ولكي لا تنمحي الشريعة فيعم الضلال(٢)، وبما أن هذا العلم في خدمة الإنسانية، بل في خدمة المخلوقات جميعا بالرفق والإحسان، فيتجاوب الكون كله مع طالب العلم رضا عنه، فالملائكة تعرف له قدره، وتعظّم حقه، فتتواضع له بالدعاء والاستغفار، بل كل من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في البحر يتولونه ويستغفرون له(٣).

ج. العلم للمحافظة على أمن المجتمع:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

أي أن بعض المسلمين من الضعفاء أو المنافقين أو العامة مطلقا يخوضون في أمر الأمن والخوف، ويذيعون ما يصل إليهم منه، وقد يكون في الإذاعة به ضرر على الأمة، والواجب تفويض مثل هذه الأمور العامة إلى الرسول(ﷺ) وهو الإمام الأعظم والقائد العام في الحرب، وإلى أولي الأمر من أهل الحل والعقد ورجال الشورى، الذين يستخرجون خفايا الأمور بدقة نظرهم، على حسب خبراتهم، لأن كل طائفة منهم تحيط معرفته ببعض المسائل، فهذا يرجح رأيه

(١) – مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: (٢٦٩٩)، ص١٠٨٢.

(٢) – ينظر: صفاء الضوي أحمد العدوي، إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، مكتبة دار اليقين، ج١، ص١٤١-١٤٢.

(٣) – ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٢.

في المسائل الحربية، وهذا يرجح رأيه في المسائل المالية، وهذا يرجح رأيه في المسائل القضائية وهكذا، فهم الذين يتطلعون على خفايا الأمور ويعرفون مصلحة الأمة فيها وما ينبغي إذاعته وما لا ينبغي(١).

د. العلم لمعرفة العقائد والمناهج المنحرفة:

قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ ﴾ [سبأ: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢ ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ [القصص: ٨٠].

هـ. العلم لتدبير شؤون الأمة:

١. الشؤون الدينية والعقدية:

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[آل عمران: ١٦٤].

٢. الشؤون الإدارية والقضائية:

قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ [الأنبياء: ٧٨ – ٧٩].

وعن موسى(عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ ﴾ [القصص: ١٤].

---

(١) – ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة–مصر، دار المنار، ط٢(١٣٦٦هـ–١٩٤٧م).ج٥، ص٢٩٩–٣٠١.

٣. الشؤون العسكرية والحربية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

٤. الشؤون الاقتصادية:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤ – ٥٦].

٥. الشؤون الصناعية:

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

الخاتمة

وفي ختام هذا توصلت إلى هذين النتجتين

١ – من خلال ما سبق أنّ حضارة الإسلام منذ نشأتها في اللحظة الأولى، كانت حضارة علمية، لأنه إذا نظرنا إلى كل هذه الفضائل والاهتمام بالعلم نظرة فاحصة، نستنتج منها أنّ العلم ركيزة أساسية لبناء الإنسان وقيمه وحضارته، ومن خلال هذه النظرة المهمة للعلم استطاعت الحضارة الإسلامية أن تأخذ بأيدي الأُميين، وتخرجهم من الظالمات إلى النور، وتجعل منهم قادة للأمم، وقد نشط المسلمون في جميع العصور في طلب العلم والمعرفة حتى تركوا لنا ميراثًا حضاريًّا رائعًا، يعبر عن تفوقهم في كل مجالات الحضارة.

٢– ويتبين من خلال هذه الأهداف أن القرآن العظيم يحضّ على تعلم كل العلوم التي فيها مصلحة الإنسان، وتصب في خدمة المجتمع، سواء كانت هذه المصلحة دينية أو إدارية أو قضائية أو اقتصادية أو عسكرية أو صناعية.

وبذلك يكون علماً يهدف إلى بناء المجتمع، وينقذه من الجهل والظلام، ويعالج الإنسان، ولا يكون سببا لمرضه، ويسعد الإنسان ولا يقهره ولا يقتله، ينمّي قدراته العقلية ولا يخدره ويضله، يبني المدن ولا يهدمها، وبهذا يتبين ضرورة وجود أخلاقيات العلم، لكي تغيّر مسار العلم، تجعله علما نافعا لا ضارا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر: دار االمعرفة – بيروت.
٢- الإسلام بين البداوة والحضارة: قاسم حبيب جابر، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، ص٣٩٤ وما بعدها.
٣- الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا و دار النشر للجامعات، مصر، سلسلة نافذة على الغرب العدد(٢).
٤- إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه: صفاء الضوي أحمد العدوي، مكتبة دار اليقين.
٥- التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة: أحمد فؤاد باشا، مصر، دار المعارف، ط١(١٤٠٣هـ–١٩٨٣م).
٦- تفسير المراغي: الشيخ / أحمد مصطفى المراغى دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.
٧- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، القاهرة–مصر، دار المنار، ط٢(١٣٦٦هـ–١٩٤٧م).
٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٩- جريدة الوقت، العدد(١٠٥٧)، الاثنين، ١٥ محرم ١٤١٣هـ– ١٢ يناير ٢٠٠٩م.
١٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
١١- حقوق الإنسان في شريعة الإسلام : محمد الزحيلي.
١٢- الحياة الربانية والعلم: يوسف القرضاوي، يوسف القرضاوي، سلسلة تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة، عمان، دار الفرقان، ط١(١٤١٧هـ – ١٩٩٦م). وطبعة مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٥).
١٣- الحياة الربانية والعلم، دكتور يوسف القرضاوي مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٥).
١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، بيروت–لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج١١، ص٤٨.
١٥- سلسلة كتب عالم المعرفة، جيمس تريفيل، لماذا العلم، ترجمة: شوقي جلال، (٣٧٢)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (فبراير ٢٠١٠م).
١٦- سنن ابن ماجه – ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني،(٢٠٧–٢٧٥هـ)،، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.
١٧- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٨- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى.
٢٠- السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة–السعودية، مكتبة العلوم والحكم.
٢١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.
٢٢- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ١٣٩٠ – ١٩٧٠ تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي
٢٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٤- طبيعة العلم؛ رؤية إسلامية تطبيقية في تعليم العلوم: إسلام الرفاعي عبد الحليم،، القاهرة–مصر، عالم الكتب، ص٢٦، وما بعدها.
٢٥- العقل والعلم في القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، سلسلة؛ من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم(٢)، القاهرة–مصر، مكتبة وهبة، ط١(١٤١٦هـ–١٩٩٦م).
٢٦- فقه السيرة: محمد الغزالي، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: السابعة – ١٩٩٨ تحقيق: تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
٢٧- كتاب العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال – تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.
٢٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولىز
٢٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٣٠- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت–لبنان، دار المعرفة.
٣١- النظم الاسلامية: منير حميد البياتي، عمان–الأردن، دار وائل، ط١(٢٠٠٦م).
مواقع أنترنيت
http://www.al-maqha.com/t5683.htm l. -
http://www.binbaz.org.sa/mat/852
http://www.islamichistory.net/articles/fa2.htm - 2
http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id-3.